

الإعلام الإسلامي الراهن ومواجهة عقلية العصر الحديث

بروفيسور عوض إبراهيم عوض*

مقدمة:

في إطار تحديات الإعلام الديني الراهن مقروءةً مع واقع الخطاب الديني في وسائل الإعلام والبرامج الدينية تجيء هذه الورقة البحثية لتتطر في حقيقة إعلامنا الإسلامي في العالم المعاصر وإلى أي حدٍ يمكننا كأمة مسلمة مواجهة عقلية العصر الحديث. وفي البدء لا بد من تحديد أمرين أساسيين يريد الباحث طرحهما من خلال هذه الورقة، وهما يتعلقان بالاستقراء التاريخي والعلمي، والواقع المعاصر لحقيقة الإعلام الإسلامي، أولهما الإجابة عن سؤال هل هناك إعلام إسلامي بالمعنى المفهوم؟ وإذا كان ذلك كذلك فأى أنواع الإعلام هو؟ وهل يمكنه أن ينافس قنوات الإعلام غير الإسلامي؟ وما طبيعة الرسالة الواجب طرحها على المتلقي في هذا العصر؟ وبأي أسلوب يمكن جذب هذا المتلقي؟

وقبل الرد على هذه الأسئلة لا بد من التأكيد على مشروعيتها وأهميتها في ظل رفض عدد من الفقهاء القدامى والمعاصرين للتعامل مع قنوات الإعلام الجماهيرية من أصلها، وعلى وجه الخصوص القنوات الالكترونية كالتلفزيون والسينما والانترنت والتصوير بأشكاله المختلفة. وعلى النقيض من ذلك برز من خلال استقراء الحقائق والوقائع العلمية لوسائل الاتصال الحديثة عددٌ من فقهاء المسلمين وقفوا بالمرصاد لقنوات الإعلام الحديثة، وبالمقابل برز نضراً من أساتذة الاتصال المسلمين الذين رأوا أهمية هذه القنوات وضرورة أن تلعب دوراً في مواكبة روح العصر. ولكن هؤلاء العلماء وقفوا عند حدود الإشارة إلى هذا الدور بشكلٍ معمم لم يخض في التفاصيل وتأطير الملامح التي حدثت بهم لاعتباره كذلك. ولذلك نستطيع أن نصف هذا التعميم بالقصور ما لم يصحبه تفصيلٌ لأسس وطرائق يمكن من خلالها وضع الأمور في نصابها وقوالبها الصحيحة. وذلك لأن التنظير العلمي لإضافة حقائق أو رفضها لا يتم بالبساطة التي قد تتبادر للأذهان، ولذلك فإن الكثير من أبناء هذا العصر لا يثقون في ما نسميه الإعلام الإسلامي لعدة أسباب منها:

١/ عنصرُ العداوة المستفحل للإسلام ومعطياته الحضارية، مما لعب دوراً في غض الطرف عن كل ما يمت إليه بصلة في إطار التوصيف العلمي لإفرازات المعرفة البشرية

* بروفيسور بكلية الإعلام جامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم، مدير إذاعة جامعة إفريقيا الوليدة، سفير النوايا الحسنة لمكافحة الدرن بالسودان، نال درجة الدكتوراه الأولى في وسائل الاتصال الجماهيرية واللغويات، والدكتوراه الثانية في الإعلام الإسلامي، والدكتوراه الثالثة في العلوم السياسية.

الحديثة. وقد نبع هذا العداء من سيطرة اليهود وهم الأعداء التقليديون للإسلام على مفاتيح علم الاتصال.

٢/ قعود العلماء المسلمين عن أداء دورهم في فرض الحقائق التي تخصهم على عالم المعرفة من خلال التنظير والتأطير وتثبيت الحقائق. وهذه النقطة لا بد من التركيز عليها لأن السنوات القادمة ستشهد الكثير من أعمال معاول الهدم للثقافة الإسلامية ما لم يتصدَّ علماء المسلمين لتأكيد حقيقتها والدفاع عنها وفرضها على عالم الواقع من خلال التجربة العملية والتنظير الفكري.

٣/ زُهدُ المسلمين التقليديين في قنوات الاتصال الحديثة والنفور عن الخوض في مُعتركاتها الشائكة بدعوى أنها تدخل في إطار المحرمات أو المشبوهات.

صحيح أن الإعلام أو الاتصال في حد ذاته قد بدأ مع بداية الخليقة بغرض تحقيق مراد الله بتمكين التعارف بين الناس قاطبة حيث قال تعالى: (يَأْيُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَاصُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ١. والله هو العليم بخلقه والخبير ببواطنهم دون واسطة ولا حجاب. وفي ذلك يقول: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ٢. وهذا يعني الإمعان في قضية التواصل التي تحتاج للمعرفة والعلم بكل ما حولنا. حيث علّم الله آدم أسماء كل المسميات بأن ألقى في قلبه علمها، ثم عرض تلك المسميات على الملائكة، وقال لهم تبكيئاً أخبروني بأسماء هؤلاء إذا كنتم صادقين في أني لا أخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافة ٣. ورغم أن ردهم قد كان بالنفي إلا أن ما نرمي إليه من إدراج هذا الشاهد هو أن قضية التواصل الإعلامي تحتاج للأسباب وعلى رأسها المعرفة والعلم. ولذلك كان لا بد من أخذها في الحسبان ونحن نسبر أغوار الإعلام الإسلامي الراهن في مواجهته لعقلية العصر الحديث ونقيسها بمقاييس العقل والعلم. ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: (وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) ٤.

¹ قرآن كريم، سورة الحجرات، آية ١٣.

² قرآن كريم، سورة البقرة، آية ٣١.

³ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١٩٨٠م)، مكتبة دار التراث، القاهرة.

⁴ قرآن كريم، سورة البقرة، آية ٢٥١.

شكل وطبيعة الخطاب الديني في وسائل الإعلام الحاضرة:

لقد وقف المسلمون موقف المتفرج لسنواتٍ عديدة تجاه أجهزة الإعلام الحديثة رغم أنها قد أصبحت الوسيلة الأخطر في العالم لخلق التغيير وبسط المفاهيم بغض النظر عن حقيقتها أو واقعيّتها. ورغم شعور المسلمين بهذه الخطورة ومحاولة بعضهم للتصدي لها إلا أنّ كثيراً من هذه المحاولات قد باءت بالفشل لأنها لم تكن بالفعالية المطلوبة، ولا بالقدر الكافي في معظم الأحيان. وذلك لقصور النظرة، وعدم الجدية في مواجهة الظاهرة الإعلامية.

وبدلاً من التعامل مع هذه الوسائل بالأسلوب الذي تستحقه من حيث المشاركة وإدخال البدائل الإيجابية في محتوياتها، وملء الفراغ، ووضع أسس للتأثير والتأثر تسير روح الإسلام السمحة ركنوا لانتقاد صنّاع الإعلام الغربيين واتهامهم بكل الرذائل، ثم حرموا السماع للراديو في بدايات ظهوره، وحرّموا مشاهدة للتلفزيون، وأمروا بمقاطعة الانترنت، ومن قبلها حرموا مشاهدة الأفلام السينمائية. وظلت نظرية المؤامرة هي التي تحكم آراء كثير من فقهاءنا تجاه الظاهرة الإعلامية الحديثة برمتها. ونسي الكثيرون منهم أنّ هذا الإسلام العظيم هو الدين الأغنى إذا ما طرحنا مادته العظيمة عبر قنوات الإعلام، شريطة أن يكون ذلك بالشكل الذي يرضي أذواق المتلقين، ويقنع المشاهدين والمستمعين والقراء على السواء.

ووسط هذا الجو الملبد بكثير من الغيوم والبُعد عن قنوات الإعلام أتاحت شبكة الانترنت لكل الذين يتعاملون معها عدداً لا يُحصى من التجارب الروحية لأتباع كثيرٍ من الأديان. وأتاحت للمتصفحين فرصاً ثمينة للتعرف على تعاليم الأديان السماوية. فضلاً عن إتاحتها الفرص لخلق قنواتٍ أكبر للتواصل مع كثير من المؤسسات الدينية ودور العبادة المنتشرة في العالم عبر الشبكة أو قنوات الفضاء الإلكتروني المتعددة. وبهذا العطاء أصبحت الفرصة سانحة للتعريف بالدين الإسلامي وتعاليمه السمحة ونشر ثقافته بين الأمم المتحضرة في كل بقاع الدنيا. ووسط الغموض الذي لف عالم بعض فقهاءنا المسلمين وسربل آراءهم تجاه قنوات الإعلام التي وصفها البعض بأنها من محدثات الأمور والبدع المرفوضة برز عدد من الإعلاميين الإسلاميين الذين نحوا منحىً مغايراً لأولئك الفقهاء، وأكدوا أحقية الإسلام والمسلمين في إنشاء قنوات إعلامهم التي تقوم على أساس إشاعة المعرفة والفضيلة بين الناس. وعرفوا الفضيلة بأنها القيمة الإنسانية الأوسع ماعوناً إذا أخضعنا لها إعلامنا مقروناً بالحرية في التعبير والتخلص من العقد الموروثة. وفي ذلك الإطار لا بد من الإشارة لأن الحرية المقصودة هنا تشمل بجانب توسيع المواعين في تناول الأمور الحياتية المعاصرة مكارم

الأخلاق، ومنفعة بني الإنسان دون تمييز بينهم على أساس العرق أو الدين أو المكانة ه كما جاء في قول النبي ﷺ: {الخلق عيالُ الله، أحبُّهم إلى الله أنفعهم لعياله} ٦. ومنهج الإعلام الإسلامي الذي طرحته هذه الطائفة من الإعلاميين يقوم على قاعدة راسخة هي الفضيلة وخير البشرية جمعاء. وهو يستند في ذلك على قوله تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ ٧. وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقلوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم﴾ ٨. وحيث إنَّ قنوات الاتصال في الغرب قد نشأت على أساس حرية التعبير التي جاءت بها الدساتير وقامت على أساسها النظريات، وافتقرت إليها نظرية السلطة في أوروبا، والنظرية السوفيتية في روسيا الشيوعية وما دار في فلكتها، فإن الحرية في الإسلام حق أصيل للفرد لا يهبه أحد ولا ينزعه أحد، كما جاءت الإشارة في قوله تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر﴾ ٩. وقد جاء ضابطها الوحيد في مراعاة الأخلاق وحرية الآخرين كما في قول النبي ﷺ: {الحياء من الإيمان} ١٠، وقوله ﷺ: {إذا لم تستحي فاصنع ما شئت} ١١. كأنما كان ضابط الحياء هو مراعاة شعور الآخرين، وهو القيد الذي تقبله النفس البشرية لكبح جماح الحرية المفرطة. ويبقى السؤال هنا عن الكيفية التي أمكن لهؤلاء الإعلاميين المسلمين أن يُوظفوا بها قنوات الاتصال الجماهيرية دون المساس بروح الدين ولا الخروج عن تعاليمه السمحة؟

في واقع الأمر أثبتت دراسات الاتصال أهمية التقويم في مجال العمل الإعلامي ودراسة النتائج إذا أردنا أن ندرك قيمة العمل الإعلامي ومدى تأثيره على الناس. وأوصى اثنان من الباحثين الإعلاميين هما: (بيل، وبوهيين) أن يهتم كل إعلامي يريد التأثير على الناس بستة من الأمور هي: ١/ الإدراك، ٢/ الاهتمام، ٣/ التقويم، ٤/ التجريب، ٥/ المحاولة، ٦/ الممارسة والتبني. ويؤكد بيل وبوهيين أنه ليس من

⁵ مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، تأليف نخبة من المفكرين والكتاب، الطبعة الأولى، رجب ١٤١١ هـ.

⁶ أخرجه البزاز عن أنس والطبراني في أحد معاجمه عن ابن مسعود. وقال السيوطي في فيض القدير الجزء ٣ صفحة ٥٠٥ إنه حديث ضعيف.

⁷ قرآن كريم، سورة الإسراء: الآية ٥٣.

⁸ قرآن كريم، سورة الأحزاب: الآية ٧٠.

⁹ قرآن كريم، سورة العاشية: الآية ٢١-٢٢.

¹⁰ أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ص ٥٤، وفي كتابه الأدب ص ٧٨، وأبو داؤد في الأدب ص ٦، وابن ماجه في الزهد ص ١٧، ومالك في الموطأ سفر ٤٦.

¹¹ أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ص ٥٤، وفي كتابه الأدب ص ٧٨، وأبو داؤد في الأدب ص ٦، وابن ماجه في الزهد ص ١٧، ومالك في الموطأ سفر ٤٦.

الضروري أن يمر كل فرد بهذه المراحل واحدة تلو الأخرى، وإنما هو تقسيم جاء على سبيل العموم. ومن خلال التجربة ثبت أن دور وسائل الإعلام الجماهيرية يرتكز في الأساس على مرحلة الإدراك، أما المرحلتان الثانية والرابعة فيلعب الاتصال الشخصي فيهما دوراً كبيراً. في حين يشترك الإعلام الجماهيري في المراحل الثالثة والخامسة. ولتحقيق أقصى قدر من التأثير على أنماط سلوك المتلقي عبر وسائل الإعلام ينبغي أن تكون هنالك خطة محددة تتضمن مايلي:

١. الأهداف الرئيسية التي تحقق الانخراط في الدين من خلال ما يقدمه الإعلام.
 ٢. تحديد الجماهير المستهدفة بالبرامج التي تستقيم مع رؤى الإسلام وأماكن وجود هذه الجماهير.
 ٣. معرفة خصائص الجماهير وخلفياتهم الثقافية والفكرية والعقدية وكيف يمكن إقناعهم وفقاً لتعاليم الإسلام.
 ٤. معرفة الاتجاهات والآراء السائدة والدوافع السياسية والأدبية التي تنطلق منها هذه الجماهير.
 ٥. تحديد الوسائل الأنجع لتقديم المادة الإعلامية لهذه الجماهير بالشكل الذي تقبله وتتسجم معه.
 ٦. متابعة مدى النجاح والفشل في إقناع المتلقين ودراسة درجات التلقي ونسبة الإقناع.
 ٧. تحديد الأسباب الحقيقية لنجاح أو فشل المواد المقدمة عبر هذه القنوات وكيفية الاستفادة في الحالتين.
- ومن خلال استقراء الواقع المعاصر لقنوات الإعلام الإسلامي ومقارنتها بالقنوات الأخرى يمكننا أن نخلص لما يلي:
- ١/ أن استخدام الوسائل الجماهيرية جنباً إلى جنب مع الاتصال المباشر يزيد من سرعة انتشار المادة المطلوب توصيلها للمتلقي ويضفي عليها صفة العمومية والدوام.
 - ٢/ أن الاتصال الجماهيري يُساعدُ قادة الفكر والرأي في كل مجتمع بإسهامه في نشر المعلومات التي يحتاجون إلى بثها بين الشعوب مهما اختلفت لغاتها أو أساليبها الحياتية ورؤاها الدينية.
 - ٣/ أن الكلمة المذاعة عبر الراديو والتلفاز يمكن تسجيلها وإعادة إذاعتها أكثر من مرة فتكسب في كل مرة متلقين إضافيين وتتيح الفرصة لترسيخ المعلومات في أذهان من نريد توصيل الرسالة لهم.
 - ٤/ يُعتبرُ التلفزيون والراديو والانترنت بحكم خصائصهم المميزة أنجع الوسائل لتعميم الاتصال المواجهي وتقديم الخدمة الإعلامية.

٥/ أثبتت الدراسات الحديثة أن قنوات الاتصال الجماهيري الالكترونية جعلت من الاتصال الشخصي أكثر أنواع الاتصال الإنساني إثارةً للاهتمام وبالتالي فهو الأكثر تأثيراً في مجال الإقناع.

٦/ يُساعد أسلوب البرامج الحديثة على إعطاء الفرص لأصحاب الآراء الفلسفية أو السياسية أو الفقهية ومناقشتهم فيما يذهبون إليه بالأدلة والمنطق والحجج والبراهين.

مواقع الانترنت الإسلامية:

تطورت الشبكة العنكبوتية الانترنت *Internet* خلال العقود الأخيرة تطوراً هائلاً. وقد ثبت أن ملايين البشر يستخدمونها بصورة منتظمة. وقد أشارت إحدى الإحصائيات التي أجريت في منتصف العقد الأول من هذه الألفية الثالثة إلى أن عدد مستخدمي الانترنت قد تجاوز ٤٠٠ مليون شخص حول العالم، وهم يستخدمون ما يزيد على مليار صفحة على المواقع المختلفة. وقد وصل هذا العدد إلى مليار ونصف في عام ٢٠١٠م بزيادة مماثلة لعدد الصفحات الالكترونية التي يطلعون عليها على مدار الساعة في شتى بقاع العالم. ومن بين هذا العدد الهائل شكل المحور الديني جانباً كبيراً من اهتمام المستخدمين للشبكة. وقد أكدت تلك الإحصائيات أن معظم مستخدمي الانترنت ينتمون إلى الدول الصناعية، حيث وصلت نسبتهم إلى ٨٨٪ مع بروز واضح لسكان أميركا الشمالية الذين يمثلون نصف من يلج إلى الشبكة يومياً، وبالتالي فهم الأغلبية على مدار تاريخ الانترنت.

وتقول الإحصائيات الواردة من مكتب إحصاء الشبكة العالمية إن العدد الذي استخدم الانترنت في أميركا فعلياً بلغ ١٣٠ مليون أي نصف مجموع السكان تقريباً. في حين كانت نسبتهم في أوروبا قد تجاوزت ٤٣٪ من مجموع السكان. ومن بين هؤلاء المتصفحين كان الشباب هم الأكثر عدداً ومواظبة من بين المستخدمين البالغة نسبتهم ٥٠٪. أما أعمار المستخدمين فقد تراوحت بين ١٦ و ٤٣ سنة، بينما وصلت نسبة المشاركين ممن هم فوق سن الخمسين إلى ١٧٪. وقد بلغت نسبة النساء ٤٣٪ من مجموع المستخدمين. واعتبرت اللغة الإنجليزية هي الأوفر حظاً في مواقع الانترنت حيث بلغت نسبة استخدامها ٨٠٪ من بين اللغات الأخرى التي بلغت ٢٦ لغة من مختلف بقاع العالم.

ووسط هذا الكم الهائل من المستخدمين بدأ العديد من أتباع الديانات السماوية وغير السماوية في فتح قنوات على هذه الشبكة. وقد تشجع كثير من الباحثين عن حقيقة الوجود وحقيقة الذات الإلهية والذين يتوقون إلى معرفة كنه الأديان وما وراء الطبيعة للبحث عن كل ما يلبي حاجاتهم الروحية التي كبحتها عبر السنوات معطيات الحياة المادية المعاصرة. وقد أتاحت شبكة المعلومات الدولية فرصة كبيرة لهؤلاء وأولئك للتعرف على الكثير من تعاليم الدين والأحكام من خلال التواصل مع

المؤسسات الدينية ودور العبادة عبر الفضاء الإلكتروني. وقد وجد المسلمون فرصة كبيرة للتعريف بتعاليم الإسلام ونشر ثقافته عبر العديد من المواقع كان على رأسها في البداية موقعا (إسلام أون لاين) *ISLAMONLINE* و(سندباد) *SINDBAD*. ثم توالى ظهور العديد من المواقع الإسلامية التي أتاحت نوعاً من التعارف بين شباب المسلمين من شتى البقاع. ثم برز موقع (الشبكة الإسلامية) كإضافة لما سبقه من المواقع المتخصصة في الإسلام من زوايا عديدة شملت أخبار العالم الإسلامي، ومعلومات في شتى أمور الدين، فضلاً عن غرف الدردشة والبيانات الإحصائية وغيرها مما يشوق المتصفحين. وكانت نتائج هذه المواقع واضحة للذين أجروا دراسات على تأثيرها، حيث أعلنت إحدى الشبكات العالمية المعروفة باسم (شبكة الدولة للمعلومات) أن هذه المواقع الإسلامية قد أدت إلى خلق نوع من الوحدة بين شباب المسلمين من خلال توحيد الرأي وخلق ما يمكن تسميته ببلورة الموقف الموحد ضد المناوئين للإسلام.

وقد اهتم كثير من العلماء والباحثين بدراسة المواقع الدينية لمعرفة نتائج هذا الاستخدام وطبيعته على خلفية أن الأديان لا تجد مرتعاً خصيباً في بعض الدول بحكم تسلط الأنظمة الحاكمة أو القيود التي تضعها بعض الأسر كي لا يتعرض أبنائها لتغيير دينهم أو يصبحوا فريسة للدعايات غير المسنودة بالحق. ولذلك كانت استخدامات الانترنت الدينية محل اهتمام كثير من الغربيين ولاسيما المهتمين بقضية الأديان والإعلام وتقنية المعلومات. وكان من أبرز هؤلاء الباحثين (ستيفن دي. أو ليري)، و (برندا براشر) الذين أجريا دراسة مستفيضة حول هذا الأمر أطلقا عليها اسم (الإله المجهول للإنترنت: الإتصال الديني من مدينة أغورا القديمة إلى المنتدى الافتراضي). وقد كان البحث الذي أجريه أقرب إلى التحليل العلمي الذي وضع له عنوان: (الدين عبر الوسائل التكنولوجية). حيث تناول البحث الجهود الأولية التي بذلت من قبل المجتمعات العلمية الحديثة لنقل التجربة الدينية والمجتمع برمته إلى بيئات الكترونية من خلال شبكة المعلومات الدولية إما بواسطة البريد الإلكتروني، أو جماعات النقاش، أو القوائم البريدية التي انتشرت عبر الانترنت طوال الأعوام الماضية. وقد لاحظ الباحثان أن بعض أبناء الجاليات الأميركية المقيمين في خارج الولايات المتحدة قد خلقوا جسوراً للتواصل والتفاعل الديني فيما بينهم عبر الشبكة وبينهم عددٌ كبير من المسلمين. كما برز بينهم أيضاً عدد من الوثنيين والبوذيين والهندوس، بالإضافة إلى بعض المذاهب المسيحية.

وهناك دراسة أخرى أجراها الباحث الأمريكي (تشارلز. إس) *Charles. S* ونشرها تحت عنوان: (العالم على الشبكة: النص والصورة والسلطة والروحانية في عصر الانترنت). وذكر من خلال هذه الدراسة أن مختلف الأديان تستخدم الانترنت بغرض تنمية المعرفة الدينية لأن كثيراً من الأميركيين وجدوا فيها مجالاً للتجربة

الروحية وسط الماديات التي طغت عليهم واحتاجوا إلى كبح جماحها. وأضاف أن كثرة الأديان الموجودة على الشبكة تجعلنا نطرح سؤالاً جوهرياً هو: (هل ستساعدنا الحياة الدينية عبر الشبكة في الإجابة عن التساؤل الأساسي حول من نحنُ ككائناتٍ إنسانية؟ وكيف نطور علاقتنا ببعضنا البعض؟ وما هي علاقة البدن بالروح؟ وما مدى علاقتنا بعالم الغيب؟ وهل ستزيد المعرفة الدينية الالكترونية من اتصالنا بالعالم الحقيقي الذي نعيشه؟ أم أنها ستسهم مع باقي محتويات الشبكة في عزلتنا عنه لصالح العالم الافتراضي على الشبكة؟). ومن خلال الأسئلة السابقة ناقش الباحث Charles. S الآراء التي تقول إن الاتجاه إلى الانترنت هو تعبير عن نزعة الروح إلى التحرر من قيود الحياة المادية في العالم الحقيقي، مؤكداً أنه ليس صحيحاً القول بأن الاتجاه إلى عالم الانترنت الخيالي هو مهرب من شرور العالم الحقيقي، إذ إن شبكة الانترنت نفسها لا تخلو من الشرور وذلك لعرضها كثيراً من المواد الإباحية الصارخة واهتمامها بتقديم المواد اللا أخلاقية أو تلك التي تقود إلى التفسخ أو تدعو للعنف، أو تساعد على نشر الجريمة بين الأحداث الخ..

ومن خلال ما تقدم تؤكد استطلاعات الرأي أن هناك تزايداً مستمراً في استخدام شبكة الانترنت لأغراض دينية ولاسيما عند شباب المسلمين الذين وجدوا في برامجها ملاذاً سهلاً لا تحده قيود الصحف ولا المجلات ولا حتى الراديو والتلفزيون. ولعل هذا الواقع وغيره من المعطيات التي أفرزها الإعلام الحديث جعلت بعض الباحثين يجزمون بأن نهاية هذا العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين ستشهد اعتماد أكثر من ٤٠٪ من سكان العالم على الانترنت في معايشة تجاربهم الدينية والروحية بصورة كاملة. ويتوقع الباحثون أن يكون هؤلاء المستخدمون للمواقع الدينية ممن لم يعتقوا أصلاً الأديان. أما شركة بارنا الأمريكية المتخصصة بالشؤون الدينية والتي تُوجد رئاستها في كاليفورنيا فقد أجرت استطلاعاتٍ أكدت أن ٨٪ من البالغين و١٢٪ من المراهقين في الولايات المتحدة يستخدمون شبكة الانترنت لأغراض دينية أو روحية ومن المرجح أن تتزايد نسبتها بسرعة كبيرة خلال السنوات القادمة.

وقال بعض المشاركين في استطلاعات الرأي التي أعدت خصيصاً لأمر البرامج الدينية عبر الانترنت ومنهم (إيلينا لارسن) التي أعدت إحدى هذه الاستبانات إن النتائج قد أظهرت تزايداً ملحوظاً في إقبال الأميركيين على دور العبادة التي لن تبدو مهجورة بعد فترة وجيزة بسبب الانترنت. والعلاقة بين هذين الأمرين هي أن مستخدمي الانترنت يلجأون إلى دور العبادة لممارسة ما تلقوه من تعاليم وأنشطة تعبدية فردية تكون بديلاً للبحث عن هذا الجو الروحي والديني الذي قد يجدونه بأسلوب غير طبيعي من خلال غرف الدردشة ورسائل البريد الالكتروني وغيرها من أشكال الأنشطة الجماعية على الكومبيوتر.

وأكدت الدراسة أن نحو ربع الأميركيين ونسبة عالية من الأوروبيين والأفارقة وعدد من الآسيويين الذين يستخدمون شبكة الانترنت سعوا للحصول على معلومات عن الإسلام عبر الشبكة. وقد تزايد إقبالهم بشكل مضاعف في الفترة التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، حيث بدأ الجميع يبحثون عن حقيقة الإسلام. وكان السؤال الذي شغل بال الإعلاميين الحاديين على مصلحة الإسلام: (هل يمكن لهذه المواقع الإسلامية على الشبكة العنكبوتية أن تُلبي حاجة هؤلاء الباحثين عن الحقيقة، أم أن المواقع التي تشوه صورة الإسلام هي التي ستقوم بهذا الدور؟)¹².

الإعلام الإسلامي التلفزيوني والفضائي:

لقد أخذ التلفزيون مكانه في كل بيوت العالم تقريباً ولاسيما في البلاد الصناعية. وتطورت النواحي الفنية في الإرسال التلفزيوني بشكل كبير بعد التقدم الهائل في إطار الموجات الكهربية الأرضية التي استخدمت الإرسال العالي الذبذبات، حيث أدخل العلماء والفنيون تجديداً كثيرة على أجهزة الإرسال اللاسلكية مثل الوصول إلى ١٨ بليون دائرة في الثانية وهو ما عُرف بنظام القيقا هيرتز، ثم أشعة الليزر، والأشعة تحت الحمراء التي ثبت أن استخدامها قد طور القنوات النظرية كثيراً. وجابت الفضاء أقمار صناعية إذاعية عديدة، منها: (الطائر المبكر) *Early Bird*، و(مولينيا) *Molinya*، و(إنتلسات) *Intelsat* وهي تقوم بإرسال البرامج الإذاعية والتلفزيونية عبر القارات. ولما كانت التطورات الحديثة هذه قد حدثت بعض الشيء من إمكانيات هذه الأقمار الصناعية فقد تم إنشاء محطات أرضية خاصة لها هوائيات ضخمة وشديدة الحساسية استطاعت أن تلتقط الإشارات من القمر الصناعي وتُضخمها حتى تم إرسالها بشكل ميسور.

وقامت في العالم الإسلامي كثيرٌ من المحطات الأرضية التي ارتبطت بأقمار صناعية تتمركز فوق المحيط الهندي والمحيط الأطلسي. وقد يسرت هذه المحطات الإرسال والاستقبال من هذه الدول إلى بقية أطراف العالم. وقد ارتبطت بعض الدول الإسلامية ولاسيما في شمال إفريقيا مع الشبكة الأوروبية بواسطة وصلاتٍ مدت خلال الشبكات الأرضية عبر مضيق جبل طارق. وقد أصبح التقاط التلفزيون سهلاً عن طريق استخدام واحدة من أساليبه الثلاثة المعروفة في كل العالم، وهي: ١/ الإرسال العام *Normal Transmission*، ٢/ الإرسال السلكي *Cable TV*، ٣/ ونظام الأطباق *Dishes*.

وبعد أن كان الناس في الماضي يأخذون على التلفزيون أنه وسيلة اتصال أحادية المسار أي لا يستطيع المشاهد معها أن يسأل المتحدث أو يتفاعل معه أثناء تقديم

¹² الإسلام في المواقع الإلكترونية، د. محمد يونس، صحيفة الاتحاد الطيبانية.

البرنامج، إلا أن تطور أساليب العمل التلفزيوني واستخدام الهواتف وأساليب الاتصال الحديث جعلت بالإمكان لأي محطة تلفزيونية أن تكسر هذا الطوق وتربط مشاهديها مع مقدمي برامجها طوال ساعات الإرسال. وبرزت نتيجةً لذلك العديد من أشكال البرامج التي اعتمدت على الاتصال عن طريق ما يسمى *The Call Inns*. وقد أفرز هذا النمط العديد من البرامج في محطات التلفزيونات الإسلامية ولاسيما ما يتعلق بالفتاوى والأمور المتعلقة بسلوك المسلم وأداء العبادات وكيفية التمسك بأهداب الدين عند انقلاط الأمور في ساعات الملمات، وما أكثرها لدى مسلمي هذا العصر.

ثم إن اعتماد التلفزيون على فنيات الإخراج الحديثة والألوان وأساليب الإبهار والإضاءة التي تريح العيون وتبرز جماليات المادة المعروضة جعل منه وسيلة جاذبة للكثيرين، حتى اقتنعت به كثيرٌ من المجتمعات الإسلامية التي كانت رافضة له في الماضي، واعتبرته واحداً من أهم قنوات التلقي لتربية أبنائها على الإطلاق في هذا العصر الحديث. وإضافةً إلى ذلك فإن تميز التلفزيون بخاصية المشاهدة الجماعية بين الأسر والأندية والمحلات العامة قد أضاف إليه بعداً إنسانياً واجتماعياً في كل بلاد المسلمين جعله أكثر مواءمةً لتقديم الجرعات الدينية، فضلاً عن خصائصه العديدة التي رأى هؤلاء بأنها قد حققت لهم ما يلي:

١/ مقدرة الفضائيات الحديثة المبتوثة من بلاد المسلمين على متابعة الأحداث ساعة وقوعها، حتى الحروب والكوارث والمظاهرات والانقلابات والحرائق وغيرها مما يجري في كل بقاع العالم.

٢/ نقل الفعاليات الثقافية والفنية والترفيهية بكل أشكالها المحلية والعالمية كالحفلات والمنافسات الرياضية والمسرحيات والعروض المختلفة.

٣/ نقل الخبرات الإنسانية من ذوي المواهب والتخصصات النادرة وعرض البرامج التسجيلية كعالم الحيوان وحياة الشعوب المختلفة وطبائع الأشياء الخ..

٤/ نقل الخبرات الصعبة التي لا يمكن مشاهدتها في الحياة اليومية، وذلك مثل الحياة في أعماق البحار، أو في المناجم المظلمة، أو داخل الأفران المرتفعة الحرارة، أو فوق قمم الجبال الشاهقة، فضلاً عن الكواكب والمجرات والأجرام السماوية وغيرها.

٥/ استخدام التصوير الميكروسكوبي لمعرفة الأحياء المتناهية في دقتها كالجراثيم والطفيليات والكائنات المحيطة بحياة البشر. وقد أمكن استخدام هذه البرامج في تدريس المواد العلمية للطلاب والمشاهدين بشتى قطاعاتهم.

الصراع بين السلفيين والمحدثين في تأطير الخطاب الديني الإعلامي:

إن الحقيقة التي لا بد من التأكيد عليها هي أن الله سبحانه وتعالى لم يحرم التمتع بما في هذا الكون من خيرات، ولم يحظر علينا التأمل في جمالياته، ولم يحجر علينا

الاستفادة من مواهبنا الفنية التي حباها إياها، بل العكس تماماً هو الصحيح حيث يقول تعالى في محكم تنزيهه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^{١٣} ويقول: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾^{١٤}. والإسلام قد قصر قائمة المحرمات في قائمة واضحة ومحدودة ومعروفة أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: {الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمورٌ مشتبهات} ^{١٥}. ورغم كل هذه النصوص الواضحة فقد سعى نفرٌ من فقهاءنا إلى توسيع دائرة المحرمات بدون أي مسوقٍ شرعي لتشمل وسائل الإعلام والاتصال الحديثة. ويجيء هذا الموقف السلبي في زمان أصبحت فيه وسائل الإعلام هي أنجع الأدوات وأقوى وأيسر الطرق بل وأخطرها لبلورة هذا الكون بالشكل الذي يريده الإنسان. بل وأصبحت هي الطريق الأوحده الذي لا ثاني له في نشر الفكر والثقافة والخبر والمعلومة، بل ولخلق التغيير المنشود نحو الأفضل في كل بقاع الأرض.

إذن فإننا إذا استسلمنا لآراء بعض فقهاءنا من الرافضين والمحرمين لهذه الوسائل فإننا سنضع أنفسنا في ركنٍ قصيٍّ من عالمٍ تكأكاتٍ فيه علينا الكثير من الأمم لتفتك بنا وتمحو ثقافتنا وحضارتنا إذا تمكنت من ذلك. ونكون قد رفضنا تطوير أنفسنا، وأبيننا أن نواكب سنة التقدم التي طالت جميع مرافق الحياة في جوانب هذا الكون الفسيح. إذن وبعد كل ما سبق يمكننا أن نخلص إلى جدولة التحديات والموجهات التي تنتظر البشرية جمعاء من الإعلام الإسلامي والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١. تأكيد حاكمية الإسلام وهيمنته على الأديان السابقة.
٢. تأكيد وحدانية الله ورفض فكرة الثالوث المقدس.
٣. تبيين أن المسيحية التي يتمسح بها كثير من الشعوب الآن قد تحرفت وليست هي نفس الرسالة الإلهية.
٤. دحض المفتريات التي نتجت عن موجة الإلحاد *Atheism* العالمية التي قادتها فرنسا وروسيا.

¹³ قرآن كريم، سورة الأعراف، الآية ٣٢.

¹⁴ قرآن كريم، سورة الضحى، الآية ١١.

¹⁵ متفق عليه. وقد أخرجه البخاري ومسلم. وأورده الإمام النووي في الأربعين حديثاً النووية الحديث السادس، ص ٦٣ في جوامع العلوم والحكم. وقد ورد في شرح الخمسين من جوامع الكلم تأليف زين الدين بن أبي الفراج عبد الرحمن شهاب الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٥. دحض الدعوات التي بثها أتباع الدارونية والهيبيية والفرودية والوجودية وأثبتت فشلها.
٦. تفنيد ودحض الشكوك التي ظلت تساور الشباب حول مفهوم الدين والخالق.
٧. طمأنة البشرية بقدسية القرآن الكريم وأنه رسالة الله ﷻ للبشرية كافةً وليس لسكان الجزيرة العربية وحدهم.
٨. الدعوة إلى حاكمية الأخلاق والمثل والقيم، وإعادة الثقة في صيرورتها، على عكس ما أشاعته المدنية الغربية، والتأكيد على أنها وحدها مناط التكليف والحساب يوم القيامة.
٩. محاربة الإباحية والتفسخ الذي أدى إلى تفشي أمراض العصر الفتاكة مثل الإيدز، وأفضى إلى بروز ما سُمي بالأسرة ذات العائل الواحد *Single Parent Family* في المجتمعات الغربية.
١٠. تأكيد أن الإسلام لا يُحرّم الترويج عن النفس، بل يعتبره عنصراً أساسياً في تربية الإنسان.
١١. رفض استغلال مفاتن المرأة واعتبارها جزءاً من الدعاية والإعلانات التجارية.

المعطيات التي استند عليها الرافضون لاستخدام الإعلام لنشر الفكر الإسلامي:

بالرغم من تطور وسائل الاتصال بشكل ملحوظ أفلح في ربط كل بقاع العالم ببعضها البعض إلا أن بعض المسلمين ولاسيما العاملين في مجال الدعوة ما يزالون يتوجسون من التعامل مع القنوات الالكترونية الحديثة كالتلفاز والراديو والسينما والانترنت والفضائيات. وقد انتقد كثيرٌ من الدعاة والفقهاء ربط الدعوة بوسائل الاتصال الحديثة بحكم أن للدعوة خصوصيتها وكنهها ومراميها التي ترتبط بقضية الدين وتعريف الناس بالإسلام أكثر مما ترتبط بالبرمجة والإعلام والمقالات الصحفية أو التحليلات السياسية أو اللوحات الفنية أو قواعد معلومات. ولذلك توجس الكثيرون من التعامل مع هذه القنوات رغم أنها تطورت بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة وخلقت ربطاً قوياً بين أجزاء العالم المختلفة حتى أطلق البعض اسم القرية الالكترونية على أقطار العالم الواسعة^{١٦}.

وقد برر البعض مواقفهم المتوجسة أو الراضة لهذه القنوات بحجة خروجها عن روح الدين وتفسخ موادها المبتوثة عبر الفضاء مما قاد بعض الفقهاء لتحريمها ومنع التعامل معها. وبرر بعض هؤلاء موقفهم بحرمة التعامل مع هذه القنوات وساقوا كثيراً

Awad Ibrahim Awad, Communication Law and Ethics, (Compilation), Publisher: ¹⁶ Univision Press Sdn Bhd, Kuala Lumpur, 1999, 175 Pages

من الأدلة على ذلك، إلا أنهم لم يملكوا الدليل القاطع أو الحجّة المقنعة على مثل هذا الادعاء. ولذلك لم تكن حججهم ترقى لأن تكون دليلاً دامغاً على مثل هذا الرفض. وركن بعضهم إلى أن مصطلح (الدعوة) نفسه لا يقبل أساليب التكنولوجيا الحديثة لأنها ببساطة لم تكن مألوفة في زمان الدعوة الأولين، ولم يمارسها النبي ﷺ.

ووسط هذا الرفض تخوف كثير من شباب المسلمين من مثل هذه المواقف وظنوا أنها لا تساعد على نشر الإسلام في هذا الزمان الحاضر¹⁷. وقد ظهر أن بعض هؤلاء يرون أن عدم صلاحية قنوات الاتصال الجماهيرية الحاضرة للدعوة يعود إلى صعوبة توظيفها لهذا العمل بحكم أنها نشأت أساساً على قيم غربية سافرة تتناقض مع قيم الإسلام وتعاليمه الأخلاقية المعروفة. وقد بنى هذا التيار وجهة نظره على استقراء ما رآه من تفسخ في قنوات الإعلام الغربية وغيرها مما نأى بها منذ البداية عن المنهج الرباني، وبالتالي فهي لم تتأدب بأدب النبوة ولا بأخلاق العقيدة في أي مرحلة من مراحلها.

ووسط هذا الرفض تخوف كثير من شباب المسلمين من هذا الأمر وظنوا أنه لا يساعدهم على نشر الإسلام في هذا الزمان الذي وسمته التكنولوجيا بأسلوبها المميز. كما برزت من الجانب الآخر رؤى مغايرة لهذه الشريحة ترى أهمية أن تتبوأ قنوات الاتصال الحديثة مكانة أكبر في خط الدعوة الإسلامية التي لا يجوز لها أن تقتصر نشاطها على المساجد ودور التعليم أو العبادة التقليدية. كما أنه لا بد أن يسمع كل أهل الأرض - ومعظمهم من غير المسلمين - عن حقيقة الإسلام عبر كل القنوات التي يشاهدونها أو يسمعونها أو يقرؤونها. ووسط هذا التباين في المواقف والآراء يبدو سؤالٌ مُلح عن جدوى ابتعاد المسلمين عن قنوات الاتصال الحديثة وإقصاء الدين وأهله عنها، فهل هذا يفيد الإسلام أو المسلمين؟

في واقع الأمر أن الحكمة تقتضي أن نقول: إن من الخطأ أن يعزل أهل الإسلام أنفسهم عن وسائل الاتصال الجماهيرية وأساليب الدعاية الحديثة. بل لا بد أن يكون الأمر مغايراً تماماً إذا أراد الدعوة أن يصلوا إلى المدعوين الحقيقيين. وذلك ببساطة أن هؤلاء المحتاجين للدعوة لا يأتون إلى المساجد ولا خلاوى القرآن ولا معاهد الفكر الديني وإنما يوجدون حيث تصل إليهم قنوات الاتصال الحديثة. والذين يصلون إليهم بشكل تلقائي ويومي هم المذيعون، ومقدمو البرامج، والصحفيون، والممثلون، والمطربون، والناشرون، والكتاب، والعلماء، والفنيون، والمخرجون، والمنتجون، وغيرهم ممن يؤدون العمل الإعلامي عبر قنوات الإذاعة والتلفاز وغيرها. وهؤلاء أصبحت لهم أدوارٌ ثقافية وفنية معروفة، وقد صارت بفضل التطور التقني تمثل القاسم المشترك

¹⁷ محاضر محمد، (١٩٩٦م)، الإسلام الذي أسىء فهمه، المركز الأفريقي العربي سندرن برهارد ماليزيا، ص ٣٠.

الأعظم للعطاء الفني، والفكري، والثقافي في معظم بلاد الدنيا، وهم باختصار صنّاع الإعلام الحديث.

وفي نفس الوقت فإن الواقع يقول إن أهل الدعوة لا بد أن يُدركوا أنّ مسؤولياتهم قد تعاظمت في ظل هذا الواقع الراهن حتى لا يتركوا شباب هذا الجيل يسقط فريسةً للأراجيف والدعاوى الباطلة التي تريد إقعاد الدين وإقصاءه من حياة إنسان القرن الحادي والعشرين. وهذه الدعوات تعمل عمل السحر في الزمان الحاضر أكثر من أي وقت مضى بحكم الحملات المنتظمة التي انطلقت ضد الإسلام والمسلمين وبعضها ضدّ التدين عامة. ولذلك إذا لم تتم مواجهة مثل هذه التوجهات بما تستحق من سلاح فإنها ستفتت المجتمعات، وتتخر في عضد الشباب، وتقفُ حجرَ عثرةٍ أمام أي تطور يطالهم، وتقضي في نهاية المطاف على مقدراتهم وكفاءتهم لمواجهة المستقبل. وإذا استكان الناس لها فإنهم سيظلون فريسة لأطماع الأعداء بعد أن يظلوا تحت سيطرة الإعلام الدخيل الموجه بكل عناية ودقة لضربهم وتمزيق كياناتهم جيلاً بعد جيل.

وإذا كان بعض أبناء الإسلام يحسبون بحسن نية أن إعلام الإسلام هو إعلام الخُطب والصلوات وحملات المساجد دون سواها فإنهم واهمون. ذلك أن الإعلام الإسلامي لم يبدأ بتلك الطريقة التقليدية إلا لسببٍ واحد وهو أن هذه القنوات الالكترونية أو المكتوبة بهذا الشكل الحديث لم تكن موجودة آنذاك. وإذا كان أسلافنا من الدعاة المجتهدين الورعين قد بدأوا بذلك الأسلوب الشفوي من خلال الميادين والأسواق والمنابر فليس معنى هذا أنّ إعلام المسلمين سيظل شفهيًا وتقليدياً إلى الأبد. وليس خافياً على أحد أنّ الأسلوب الشفاهي هو وحده الذي كان متاحاً بصورة أفضل في ذلك العصر القديم من عمر البشرية ١٨. والنبي ﷺ نفسه لم يركن للإعلام الشفاهي وحده وإنما استخدم أسلوب الكتابة بمجرد أن أصبح متاحاً فدون آيات القرآن الكريم عندما خصص عدداً من الصحابة رضوان الله عليهم لكتابة الوحي. ولجأ لكتابة الرسائل التي بعثها إلى الأمصار المختلفة والقادة المؤثرين آنذاك، فكانت وسيلةً لبث التعاليم الدينية ونشر أخبار الإسلام وتقديم الدعوة في قالبٍ حضاريٍّ جميل لينخرط الناس في هذا الدين الجديد. وقد آتت تلك الرسائل أكلها لدى كسرى فارس، ونجاشي الحبشة، والمقوقس عظيم القبط في مصر، وغيرهم ممن وصلت إليهم رسالة الإسلام فيما بعد.

ومثلاً استخدم النبي ﷺ أسلوب التدوين لحفظ آيات القرآن الكريم فقد جاء تدوين الأحاديث النبوية بعد وفاته ﷺ لأنه قد نهى الصحابة من ذلك أثناء حياته خشية

¹⁸ الاتصال الجماهيري النظريات والوسائل، محمود محمد قلندر، (١٩٩٩م)، يونيفيزيون للطباعة والنشر، كوالالمبور، ص ٥٢.

أن يختلط الحديث النبوي بالقرآن الكريم. وقد وعى الصحابة رضوانُ الله عليهم ذلك الهدف من المنع لأنهم فهموا مقاصد الدين، ولذلك عادوا بعد وفاته ﷺ ودونوا الأحاديث النبوية بعد تدوين القرآن الكريم. ثم وضعوا آيات القرآن الكريم في المصحف الشريف خوفاً من ضياعها رغم أن رسول الله ﷺ لم يفعل ذلك^{١٩}.

وفي واقع الأمر أن من الخطأ الفادح أن يعزل أهل الدعوة الإسلامية بكل قطاعاتهم من خطباء وأئمة ومعلمين أنفسهم عن وسائل الإعلام الحديثة وأساليب الدعاية التي استبطنها بنو الإنسان في عصرنا الحاضر. والأوقع أن يفعلوا ما يقوم به الصحفيون والإذاعيون والناشرون والكتاب والعلماء والفنيون وغيرهم ولا يتركوا أبناء الأمة ليسقطوا فريسة للأراجيف والدعاوى الباطلة التي تقعد بالدين أكثر من أن تطوره. حيث إن هذه الأراجيف تعمل عمل السحر في تفتيت المسلمين، وتخر في عضدهم، وتقف حجر عثرة أمام تطورهم ووحدتهم. وطاعة الله ورسوله أمر لازم حتى يتفادى أبناء الأمة التنازع والاختلاف والشقاق الذي هو واقعنا اليوم كأمة مسلمة. وسيفضي إلى الفشل لا محالة إن لم ندرك أنفسنا قبل فوات الأوان. وليس هناك ما هو أفضل من قنوات الإعلام الحديثة إذا أردنا أن نعيد صياغة البناء لأمتنا المسلمة بالتوحد والصبر.

هل يستطيع المسلمون من خلال إعلامهم منافسة وسائل الإعلام الحديثة في الشرق والغرب؟

في الواقع إن الإجابة بلا تردد هي نعم، وذلك أن إعلام الإسلام يلتزم بموجهات ومبادئ أساسية فرضتها الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وهذه الموجهات هي:

١. الصدق والتجرد في بث المعلومات.
٢. توير وتثقيف المتلقي من خلال المعلومة الموثقة وقبول الرأي الآخر بكل الحب والتقدير.
٣. الصراحة والوضوح في طرح المواد الإعلامية، وترك التشنج والتعصب غير المفضي إلى الخير.
٤. التوافق مع معطيات العلوم الحديثة والتوفيق بينها وبين المفاهيم الدينية في وعاء من العلم وليس الجهل.
٥. مخاطبة العقل البشري بوعي دقيق وليس الغرائز الحسية التي تجلب المهالك لبني الإنسان.
٦. احترام الرأي الآخر ودراسته بعناية ثم مقارنته بالحجة والمنطق والبرهان.

¹⁹ المنبر وسيلة اتصال جماهيرية، عوض إبراهيم عوض، دار المؤمن للطباعة والتأليف، كوالا لمبور، ص ٤٤.

والحقيقة التي لا مراء فيها أن تفتت أي أمة يكمن في غربتها عن ثقافتها، وأن عودتها إلى جذورها ليست مستحيلة، رغم أنها تحتاج إلى بذل الجهود وحسن الاستخدام لوسائل إعادة البناء ٢٠. كما أن التعريف بالثقافة الإسلامية وبثها بين أبناء العالم ليست بالأمر الميسور في هذا الزمان، حيث إن الحرب التي شنها أعداء الإسلام قد استغلت كلما يمكن استغلاله من تصرفات بعض أبناء المسلمين أنفسهم خصوصاً الذين حاولوا علاج الأمور بالعنف لا بالرفق واللين، متناسين قوله تعالى: (فَيْمًا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَكَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) ٢١. كما استغلوا خلافات أهل المذاهب الدينية التي أفضت إلى كثير من الصراعات عبر العصور حين تنازع الناس فيما بينهم ناسين قوله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) ٢٢. وأمر الله الذي ورد في هذه الآية هو أمر بالطاعة حيث قال وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا أي لا تختلفوا فيما بينكم فتفشلوا وتجنبوا وتذهب قوتكم ودولتكم، واصبروا إن الله مع الصابرين بنصره وعونه. وفي ظل هذا الابتعاد عن جادة الأمر الإلهي استفاد أعداء الإسلام من أتباع الأفكار المعادية له كالشيوعية والصهيونية والصليبية وغيرها مما اعتمد عليه أتباع الحضارة الغربية أو حتى من أبناء المسلمين الذين انطمست فيهم حمية العقيدة وفارقوا أو كادوا أن يفارقوا ملة الإسلام ٢٣.

إلى جانب هذا فإن إعلامنا الإسلامي قد اكتنفته في بعض المراحل ونتيجة لهذا الواقع السيئ صعوبات عملية تمثلت في عدم الجدية، وضعف المناهج، وقلة الإمكانيات، والتشتت اللغوي، وضعف المادة المقدمة من خلال القنوات الحديثة، وضعف الدافعية لدى القائمين على وضع السياسات العليا في كثير من الدول الإسلامية، وفوق هذا وذلك ضعف وسائل الإعلام المتاحة، وعدم دراية من تصدوا لها حتى كادت أن تصيروبالأعلى الأمة الإسلامية وليس سندا لها. ونشر الثقافة الإسلامية يحتاج إلى جهود كبيرة من الحادبين عليها حتى توتي أكلها وتتم حمايتها من أعدائها وخصومها الذين شحذوا كل أشكال الأسلحة للانقضاض عليها ومنهم بعض قادة الغرب، مثل رئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارجريت ثاتشر التي أعلنت بصورة جلية أن

²⁰ الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام، عباس محمود العقاد، (بدون تاريخ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٤٧.

²¹ قرآن كريم، سورة آل عمران، آية ١٥٩.

²² قرآن كريم، سورة الأنفال، آية ٤٦.

²³ المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، محمود علي عبد الحليم، (بدون تاريخ)، دار المعارف المصرية، القاهرة، صفحات ٥٠-٧٩

العدو القادم بعد انتهاء الحرب الباردة هو الإسلام ٢٤. ومن خلال تتبع حركة نشر الإسلام ونقله من جزيرة العرب إلى بقاع الدنيا المختلفة يمكن القول إن المسلمين عرفوا أساليب للدعاية وأشكالاً للاتصال اختلفت عن غيرهم ممن روجوا لمعتقدات وأديان أخرى مثل إنذار العشيرة الأقربين عن طريق التحدث بشكل فردي مع بعض الأشخاص المختارين ٢٥. ثم أسلوب دار الندوة الذي يجلس فيه الناس ليستمعوا لحديث غريب عنهم وجديد عليهم كل الجدة يقتضي الفهم والحوار حوله. ثم بعث الرسل المفردين لنقل المعلومة، ودعوة فرد بعينه للتسليم بهذا الأمر. ثم أسلوب الرسائل للبعيد من ذوي الجاه والسلطان والتأثير. ثم ممارسة سلوك عقدي أو اجتماعي بغرض بثه بين المراقبين، ثم أسلوب الاقتداء بغرض التقليد الذي أطلق عليه القدوة الحسنة. ثم أسلوب عرض الداعية نفسه أمام الناس للمبايعة عند الاقتناع بالفكرة والدعوة.

كل هذه الأساليب مارسها المسلمون الأوائل قبل أن يتم تصنيف وتقسيم أساليب الاتصال والإعلام الحديثة وقبل تأطير النظريات الحديثة. ومن هنا كان لا بد أن نقف على كثير من التوجهات لتفنيدها من الناحية العلمية والواقعية وطرح الرأي الثاقب حولها. واهتمام المسلمين بالإعلام واجتهادهم في ممارسته وإعطائه ما يستحق من الجهد والمال يعتبر من أهم الأمور الملحة في هذا العصر، وذلك للأسباب التالية:

- تعرض الإسلام في السنوات الأخيرة للاستفزاز من خلال الرسوم المسيئة للنبي ﷺ والاستخفاف بأل بيته الكرام.
- التشويه المتعمد للإسلام والمسلمين بعد انهيار المعسكر الاشتراكي ونهاية الحرب الباردة وتضعف الدول الإسلامية من خلال الأكاذيب حول حقيقة الدين والانتقادات اللاذعة التي طالت علماء المسلمين من من أعدائه التقليديين والتي تحتاج منا لإعلام قوي للرد عليها وتفنيدها.
- ليس الإسلام دين عبادة فقط كالمسيحية، وإنما هو دينٌ يحثُ على العمل بشكليه الدنيوي والأخروي، والثواب عليهما أمرٌ مرغوبٌ ومنصوصٌ عليه.
- عمقُ الثقافة الإسلامية وعموميَّتها ثم شموليَّتها لمجالات الحياة الإنسانية كافةً يقتضي توضيحها بشكلٍ دقيقٍ لبني الإنسان الذين لم يقفوا على ذلك.

²⁴ دور المسجد في بناء الحضارة الإسلامية، خير الأسماء شافعي، (٢٠٠٠م)، دراسة بحثية غير منشورة، ص ١٥.

²⁵ تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد في إندونيسيا، عوض إبراهيم عوض، (مراجعة كتاب)، نشرت بمجلة (التجديد) الصادرة من

قسم البحوث بالجامعة الإسلامية العالمية كوالالمبور ماليزيا، العدد رقم ٩، مجلد ٥ بتاريخ فبراير ٢٠٠١م، ص ٢٦٠.

- طُغيانُ الماديات طَوَالَ أخريات القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين والذي استشرى بفعل الإعلام وتداخل الشعوب، والذي يقتضى تجلية العنصر الروحي حتى لدى المسلمين أنفسهم.
 - نشر الإسلام واجبٌ على الأمة بالنصوص الشرعية ومأجورٌ عليه، ولم يرد على سبيل التخيير أو المزاج الفردي أو حَسَبَ الضرورات.
 - دحض المفتريات العديدة التي أفرزتها النظريات التي سُميت بالعلمية وهي ضدَّ وجود الخالق وضدَّ التدين برمته مما يقتضى تجليتها وتوضيح حقيقتها.
 - كثافة التطبيل للعلمانية في مختلف بلاد العالم جعل من الضروري توضيح حقيقتها ومراميها والتبشير بما يناقضها من عقيدة وأحكام تقوم على العقل والمنطق من خلال الإعلام الإسلامي.
- لكل هذه الأسباب، وارتباط واقع الأمة الإسلامي بقضية الإنسان في كيانه البشري، وتحفيز طاقاته العقلية والإبداعية، فإن الواجب يحتم علينا كجيلٍ فاعل في هذا العصر الحديث تكثيف الحملات والبرامج الإعلامية عبر قنوات الإعلام الجماهيرية المختلفة. ولا بد أن يتم إعداد هذه البرامج بعناية فائقة لتتضح عبرها حقيقة التطور العقلي الذي يحمله المسلمون، والقيم التي جاء بها الإسلام لخير البشرية كافةً، ورؤية الإسلام فيما يُطرح ضده من معلومات كاذبة ومضللة. ومن خلال هذا لا بد أن يقوم إعلامنا الإسلامي بتصحيح المفاهيم الخاطئة، وتجلية الحقائق. ولتحقيق ذلك لا بد من تنفيذ الشبهات حول الدين بالإجابة عن الاستفسارات المطروحة وتجلية الغموض في كثير من الأمور، وتحفيز المدعوين، وتركية الدعاة أنفسهم كي يحملوا هذه الرسالة الخطيرة.
- وبما أن هذا الأمر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإعلام ووسائله فإنَّ الباحث يرى أن استغلال قنوات الاتصال الحديثة في تحقيق هذا الأمر سيساعد كثيراً في اختصار الطريق أمام المهتمين به سواءً كانوا أفراداً أو منظماتٍ أو حكوماتٍ آلت على نفسها أن تقوم بهذا الدور. وهذا الاعتقاد ينبع من أسباب عديدة يمكن تلخيصها فيما يلي:
- ١/ لم تعد أهمية قنوات الاتصال الحديثة خافيةً على أحد في هذا العصر الحديث.
 - ٢/ سرعة قنوات الإعلام في توصيل المعلومة للمتلقي تجعلها في موقع الصدارة بين وسائل المعرفة.
 - ٣/ عمومية وسائل الاتصال الحديثة يجعلها تصلُ إلى كل قطاعات البشر مسلمين أو غير مسلمين.
 - ٤/ بطء الوسائل التقليدية للدعوة يجعلها غير مواكبة لتحقيق الأهداف الحاضرة للدعاة.

٥/ التعامل مع الإعلام يصقلُ مَلَكَاتِ الدعاة أنفسهم لمواكبة التطور الذي طرأ على المدعوين.

٦/ استخدام أحدث الوسائل التقنية يُسهم في التوصليل السريع الرسالة الدعوية للأجيال الحديثة.

ما هي المعضلات التي يواجهها الإعلاميون الإسلاميون بمقاييس العصر الحديث؟

لقد واكبت تجربة الإعلام في البلاد الإسلامية العديد من النقائص والعيوب التي كادت أن تقع بها عن أداء رسالتها المرجوة. ومن ذلك أنَّ معظم الزعامات السياسية في العالم الإسلامي قد درجت على كبت حرية التعبير بدعوى الحفاظ على القيم. وفرضت هذه الزعامات أحادية في الرسالة الإعلامية والسياسية والتعليمية قهرت من خلالها الصوت الآخر. وشعر المسلمون أنَّه ليست لديهم فرصة للتعبير عن أنفسهم من خلال قنوات الاتصال ما لم يكن حديثهم على وفاق كامل مع ما تطرحه السلطات الحاكمة سواء في المجال السياسي أو الفكري أو غير ذلك. ولذلك لم يظهر صوتٌ ينتقدُ فساد الحكومات ولا ضلال الحكام في كثير من الأحيان. ولا تُتاح الفرصُ عبر وسائل الإعلام إلا لمن يُسبحُ بحمد الزعيم مهما كان سلوكه السياسي أو الأخلاقي أو الديني. وبالغت بعض قنواتنا الإسلامية ولاسيما في العالم العربي في مدح الزعماء والملوك بشكل أدى إلى تنفير المتلقين الذين لم يتوانوا عن إدارة ظهورهم لهذه الوسائل والبحث عن الحقيقة في وسائل اتصالٍ أخرى. وأحجمت العديد من وسائل الاتصال الإسلامية عن تقديم المواد الثقافية الحديثة سواء من داخل البلاد الإسلامية أو من خارجها وذلك بزعمها أنَّ هذه المواد ضارة ومُفسدة للأخلاق أو أنها محرمة كالموسيقى، والسينما، والروايات، والفضون التشكيلية، وغيرها. وظلَّ الأسلوب الوحيد الذي تشير به قنوات الاتصال الإسلامي إلى مثل هذه المواد هو التجريح والتنفير منها وإصدار الأحكام الصارمة عليها. وقد طال هذا الأسلوب قنوات الاتصال الالكترونية جميعاً بغض النظر عن مضمون رسالتها.

ما هي الأخطاء التي وقع فيها دعواتنا وإعلاميوننا وهم يواجهون ألت الإعلام المعادي للإسلام؟

لم تضع كثير من قنواتنا الإعلامية في البلاد الإسلامية بدائل مناسبة لما حسبته ضلالاً ضد العقيدة. ولذلك حدثت جفوة ونفور من كثير من الحاديين على أمر الثقافة والأخلاق والقيم من وسائل الإعلام الحديثة. حتى إنَّ البعض قد أطلق اسم (المفسديون) على التلفزيون ٢٦ على أساس أنه من الأجهزة التي سلطها الكفار لإفساد أخلاق المسلمين وهدم قيم الإسلام. ورغم أننا قد نتفق مع بعض في هذا الطرح في بعض جوانبه

²⁶ حديث من القلب، عبد الحميد كشك، ١٩٨٠، دار الشعب القاهرة.

إلا أننا نلومُ الذين تجنبوا تقويمَ أساليب الإنتاج الحديثة، وقاطعوا حتى مصطلحات الاتصال المعروفة بدعوى أن الدين يرفضها بحكم أنه يقوم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبالطبع فإنَّ بعضَ هذه الأطروحات تُعتبرُ من البديهيات التي لا يمكن إنكارها للفرد المسلم، ولكنها قطعاً لا تكفي لرسم صورة الإعلام في زماننا الحاضر. حيثُ إنَّ الإسلام لم ينكفئ على نفسه أو يتغلق في هذا الإطار الضيق من المعارف، وإنما فتح أبواب العلم مُشَرَّعةً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: {خذوا العلم من المهد إلى اللحد} ٢٧، وقوله صلى الله عليه وسلم: {أنتم أدرى بشؤون دنياكم} ٢٨. ولكنَّ بعضَ الكتاب المسلمين قد خلطوا الأمور بحسن نية أو سوء نية في بعض الأحيان.

وقَصَرَ بعضهم أهداف الإعلام في الدعوة فقط ولا شيء سواها، على أساس أنَّ الإعلام الإسلامي لم يَقم إلا على الدعوة ولا يجوز له أن يعمل في غير إطارها في مستقبل الأيام. وبالطبع فإنَّ تأطير منهاج إسلامي صحيح للإعلام لا يمكن أن يقوم على مجرد الوهم، أو التحليل الخاطئ، أو العاطفة العقديّة، وإنما يقوم على التصالح بين العلم والدين من خلال الفهم الصحيح لمعطيات الإسلام. ومن ذلك لا بُدَّ أن نقر أنَّ الدعوة الإسلامية ليست هي الإعلام، وإنما كانت علاقتها بالإعلام أنها استخدمت قنواته المتاحة لها منذُ أيام الإسلام الأولى، وظلت شغل المسلمين الشاغل طوال العهود، ولكنها لم تكن هي في حد ذاتها ما نعنيه بالإعلام بمفهومه الحاضر.

وفي الختام يرى الباحث أنَّ الإعلام الإسلامي ينتظره الكثير من الازدهار في ظل التطور التقني الحديث. ولكنَّ هذا الازدهار لن يتم ما لم يؤمن القائمون بأمر الإعلام في بلادنا الإسلامية بهذا الأمر ويعملوا على استخدامه أفضل الاستخدام. وعليهم في هذا المجال أن ينزعوا عصابة الخوف من معطيات التقنية الحديثة ويؤمنوا بأنها ليست أكثر من وسيلة لتحقيق غاية. وفي سبيل ذلك يوصي الباحث بأن تقوم الجهات المختصة بما يلي:

١/ وضع خطط مدروسة ودقيقة لخلق عدد من المواقع الإسلامية ذات الجاذبية العالية والدقة في شكلها ومضمونها بكل اللغات العالمية ولاسيما اللغات الأكثر انتشاراً

²⁷ أورده عددٌ من الرواة ومنهم مسلم.

²⁸ جاء في باب عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخطأ فيما يبلغه عن الله سبحانه وتعالى. الحديث ٢٢٧٣ عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بقوم يُلقحون النخل، فقال: (لو لم تفعلوا لصلح)، قال: فخرج شيصاً فمرَّ بهم فقال: (ما لنحلکم؟)، قالوا: (قلتُ كذا وكذا، قال: أنتم أعلم بأمر دنياکم). وفي رواية (أنتم أدرى بشئون دنياکم). رواه أحمد في مسنده الجزء ٣ صفحة ١٥٢.

- وهي الإنجليزية والفرنسية والألمانية ثم الإسبانية والصينية بشقيها الماندرين والكانتونيز.
- ٢/ حشد أقصى ما يمكن من الإمكانيات المادية والعلمية والفنية ولاسيما ما أفرزته التقنية الحديثة من أساليب متطورة واستخدام أمهر المبرمجين العالميين لتصميم هذه المواقع وانتقاء المواد المبتوثة خلالها بغاية الدقة والعناية الفائقة.
- ٣/ استخدام كل العلماء المسلمين العصريين في تغذية ومتابعة ما يبث في قنوات الإعلام المبتوثة من العالم الإسلامي والرد على ما يعن من تساؤلات يوماً بيوم وساعةً بساعة.
- ٤/ متابعة المواقع المناوئة للإسلام وتضيد ما لديها من مواد بشكل مستمر بالرد عليها وتصحيح أخطائها وكشف حقائقها بكل اللغات المتاحة على قنوات الإعلام الإسلامية وغير الإسلامية.
- ٥/ استخدام كل ما يلزم من مواد توضيحية مثل الصور والخرائط واللوحات البيانية والأفلام والتسجيلات الصوتية والموسيقى وغيرها من المؤثرات والمجسمات التي تسهم في خلق الإبهار المطلوب والمباح لجعل برامجنا ومجلاتنا ومواقعنا الالكترونية جذابة وشهية ومنسجمة مع روح العصر في إطار من الحشمة والجمال المباح حتى لا يوصم الإسلام بالتخلف والتفوق وعدم المواكبة.
- ٦/ عمل إحصاءات دقيقة لمن يستخدمون القنوات الإسلامية والإذاعات الإسلامية ويقرأون المؤلفات الإسلامية وكذلك يتصفحون المواقع الإسلامية ومعرفة ردود أفعالهم وتطور مفاهيمهم العقديّة وإزالة أي شوائب أو تشويش يطرأ عليها من أي جهات مناوئة.

والله ولي التوفيق ، ، ،

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
 - الأحاديث النبوية المطهرة.
 - مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، تأليف نخبة من المفكرين والكتاب، الطبعة الأولى، رجب ١٤١١هـ.
 - الإسلام في المواقع الالكترونية، د. محمد يونس، صحيفة الاتحاد الظببانية.
 - جوامع العلوم والحكم - شرح الخمسين من جوامع الكلم - ، زين الدين بن أبي الفراج عبد الرحمن شهاب الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.
 - محاضير محمد، (١٩٩٦م)، الإسلام الذي أسىء فهمه، المركز الإفريقي العربي سنדרن برهارد ماليزيا، ص٣٠.
 - الاتصال الجماهيري النظريات والوسائل، محمود محمد قلندر، (١٩٩٩م)، يونيفيزيون للطباعة والنشر، كوالالمبور، ص٥٢.
 - المنبر وسيلة اتصال جماهيرية، عوض إبراهيم عوض، دار المؤتمن للطباعة والتأليف، كوالالمبور، ص٤٤.
 - الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام، عباس محمود العقاد، (بدون تاريخ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٤٧.
 - المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، محمود علي عبد الحلیم، (بدون تاريخ)، دار المعارف المصرية، القاهرة، صفحات ٥٠ - ٧٩
 - دور المسجد في بناء الحضارة الإسلامية، خير الأسماء شافعي، (٢٠٠٠م)، ، دراسة بحثية غير منشورة، ص١٥.
 - تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد في إندونيسيا، عوض إبراهيم عوض، (مراجعة كتاب)، نشرت بمجلة (التجديد) الصادرة من قسم البحوث بالجامعة الإسلامية العالمية كوالالمبور ماليزيا، العدد رقم ٩، مجلد ٥ بتاريخ فبراير ٢٠٠١م، ص٢٦٠.
- Awad Ibrahim Awad, Communication Law and Ethics, (Compilation), Publisher: Univision Press, Sdn Bhd, Kuala Lumpur, 1999, 175 Pages